مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

منهج الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ومصادره فيه ومكانة التفسير عند المفسرين

عمر نجم عبد الكروي – ابراهيم الاغبش الامين عبد الدافع – فتح الرحمن محمد احمد– **Email: Feeo8668@gmail .com**

المستخلص

تناولت هذه الدراسة موضوع منهج الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ومصادره فيه ومكانة التفسير عند المفسرين وذلك يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على التعريف بالمنهج ، وبيان مكانة تفسير القرطبي بين التفاسير القرآنية وعند المفسرين ، والوقوف على المصادر التي اعتمدها القرطبي في تفسيره ، إذ خلصت الدراسة إلى أنَّ القرطبي لجأ إلى المفاضلة والترجيح بين الاقوال ويختار القول الذي تؤيده الادلة والقرائن من أقوال الصحابة ، أو التابعين أو المفسرين ؛ وركزت الدراسة على بيان أهمية تفسير القرطبي فيمن جاء بعده ؛ إذ اضاف بتأليفه لبنة صلبة في بناء المدرسة الاسلامية التي أنجبت كبار العلماء وجهابذة المنكرين ، وأساطين العلم والمعرفة الذين أسهموا بدور عظيم في تقدم الإنسانية و إزدهارها . كما أوصى الدارسين إلى تقسيم هذه الشواهد الشعرية على حسب علومها البلاغية فشواهد علم المعاني ، وشواهد علم البيان وشواهد علم البديع كي يسهل على الباحث على الوصول إلى هدفه من أقرب طريق، وأيسر سبيل حتى تتضح أمامه الرؤيا ليهتدي إلى ما يريد .

الكلمات المفتاحية : منهج الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن

Abstract

This study dealt with the topic of Imam Al-Qurtubi's approach to his interpretation (the provisions of the Qur'an) and its sources, and the situation of interpretation among the interpreters. This research aims to shed light on the definition of the approach, to clarify the position of the interpretation of Al-Qurtubi among the Qur'anic interpretations and among the interpreters, and to identify the sources adopted by Al-Qurtubi in his interpretation, as the study concluded that Al-Qurtubi resorted to variabilty and Moreover, the study concluded that Al-Qurtubi resorted to the variability through comparing and contrasting different views with the information of targeting the view that holds strong validity, weighting between the sayings and chooses the statement that the evidence and support from the sayings of the companions, or the followers or interpreters; The study focused on explaining the importance of the interpretation of Al-Qurtubi in the one who came after him; As he added, by writing a solid building in the Islamic school, which gave birth to the most prominent scholars and deniers of denial, and the masters of knowledge and knowledge who contributed a great role in the progress and prosperity of humanity. Also researcher recommended to the students to divide these poetic evidences according to their rhetorical sciences, as well as the evidences of the science of meanings, the evidences of the science of the statement , the evidences of the science of Al-Badi in order to facilitate the researcher to reach his goal from the nearest way, and the easiest way until the vision is clear before him to guide what he wants.

Key words: Imam Al-Qurtubi's method to the provisions of the Qur'an

مقدمة :

يعد المنهج مجموعة الخبرات التي يعتمدها المفسر في تفسيره ، إذ يضع كل مفسر منهجا ، يسير على أساسه في كتابته تفسيره ويكون في مقدمة تفسيره ، لذا خصصت هذه الدراسة للبحث في مصادر القرطبي ، وبيان منهجه الذي سار عليه في تفسيره ، وابراز القيمة العلمية لهذا التفسير، ومن تأثر به من المفسرين . جعله الله خالصا لوجهه ، وان ينفعني به ووالدي ومن أراد، بمنّه ، انه سميع الدعاء قريب مجيب آمين .

أهمية الورقة :

تأتي الأهمية من أهمية تفسير القرطبي فيمن جاء بعده ؛ إذ إضاف بتأليفه لبنة صلبة في بناء المدرسة الإسلامية التي أنجبت كبار العلماء وجهابذة المنكرين

أهداف الورقة :

يهدف البحث إلى التعريف على المنهج ، وبيان مكانة تفسير القرطبي بين التفاسير القرآنية وعند المفسرين ، والوقوف على المصادر التي اعتمدها القرطبي في تفسيره ،

منهج الورقة : اتبعت المنهج الاستقرائي التاريخي.

المنهج في اللغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب في مادة نهج : المنهج في اللغة : ((من نَهج ، طريقٌ نهجٌ ، بيّن واضح ، وهو النهج ، ومنهج الطريق: وضَحه ، و المنهاج : كالمنهج ، وفي التنزيل: (لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهاجًا) (المائدة :48) ، وأنهج الطريقُ: وضَحَ ، واستبان، وصار نهجاً، واضحاً، بيناً) (ابو الفضل ، 2010م).

أما في الاصطلاح : فهو ((الطريق الذي يتميز بها التفسير، أي : ((الوجه الواضح ، الذي جرى عليه الاستعمال)) (بو البقاء، 1419هـ).

ولو دققا النظر في معناه الاصطلاحي فنجده لا يبعد كثيراً عن ما ورد في قواميس اللغة بل لعل بعضها أشار صراحة إلى الاصطلاح المتعارف عليه ، وإذا رجعنا بالمصطلح إلى أصول لغة القرآن نجد أنّ اللغويين أنفسهم قد أخذوا مادتهم من ورودها في القرآن الكريم .

وقد ذكر الامام القرطبي منهجه في التفسير بقوله: (قلت : هذا صحيح ، وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء فإن من قال فيه بما سنح في وهمه ، وخطر على باله ، من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ ، وإن من استنبط معناه ، بحمله على الأصول المحكمة ، المتفق على معناها ، فهو ممدوح ، وقال بعض العلماء: إن التفسير موقوف على السماح لقوله تعالى(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)(النساء :59)

وهذا فاسد ، لأن النهي عن تفسير القرآن ، لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل ، والمسموع ، وترك الاستنباط ، أو المراد به أمر آخر، وباطلٌ أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه ، فإن الصحابة (رضي الله عنهم) قد قرأوا القرآن ، واختلفوا في تفسيره ، على وجوه ، وليس كل ما قالوه ، سمعوه من النبي (صلى الله عليه وسلم) فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا لابن عباس وقال ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)) ، فإن كان التأويل مسموعاً ، كالتنزيل ، فما فائدة تخصيصه بذلك وهذا بين ، لا إشكال فيه (ناهد 2009 م).

منهج الإمام القرطبي في تفسيره :

يصنع كل مفسر منهجاً ، يسير على أساسه في كتابتهِ تفسيره ويكون في مقدمة كتابه ، وقد ذكر القرطبي منهجه الذي سار عليه ، فقال: (وشرطي في هذا الكتاب : إضافة الأقوال إلى قائليها ، والأحاديث إلى مصنفيها ، فإنه يقال : من بركة العلم ان يضاف القول إلى قائله ، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه ، والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه الا من اطلع على كتب الحديث فبقي من لا خبرة له بذلك حائراً ، لا يعرف الصحيح من السقم ومعرفة ذلك على جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الإسلام ونحن نشير إلى جمل من ذلك ، في هذا الكتاب والله الموفق للصواب واضرب عن كثير من قصص المفسرين وإخبار المؤرخين الا ما لابد منه ، ولا غنى عنه للتبيين واعتضت من ذلك تبيين أي الاحكام ، بمسائل تسفر عن معناها وترشد للطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية لتضمن حكما أو حكمين فما زاد مسائل ، تبين فيها : ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم فان لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، هكذا إلى آخر الكتاب ، وسميته بـ(الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان) جعله الله خالصا لوجهه ، وان ينفعني به ووالدي ومن أراد ، بمّنه ، انه سميع الدعاء قريب مجيب آمين)(شمس الدين ، 1988 م) .

وأهم النقاط التي اعتمد عليها الإمام القرطبي في منهجه هي (محمود ، 1982م) :

1-ذكر فضل السورة أو الآية وما ورد في ذلك ، من أحاديث أو أخبار وقد يذكر فضل السورة قبل بدئه بالمسائل.

2- ذكر سبب نزول الآية ، والاقوال التي وردت فيهِ ؛ وذكر وجوه القراءات التي وردت في الآية ، المتواترة منها والشاذة .

3- تفسير الآية بما يماثلها في المعنى من الآيات المفسرة لها ؛ أو بما يوضحها من الاحاديث النبوية الشريفة ودرجتها من الصحة احياناً ، وتفسير الآية بما ورد من اقوال الصحابة ونسبتها إليهم بدون اسناد .

4- اللجوء إلى المفاضلة والترجيح بين الأقوال اذا تعذر الجمع بينهما ويختار القول الذي تؤيده الادلة والقرائن من أقوال الصحابة ، أو التابعين أو المفسرين ويقدم الحديث اذا كان مسندا ، وعنده قول الصحابي مقدم على قول التابعي وتابع التابعي وبما تحتمله الالفاظ من معانٍ في اللغة مستشهداً على ذلك بأشعار العرب واقوالهم .

5- يذكر الاحكام الفقهية المتعلقة بالآية مع بيان اختلاف الائمة فيه مع ايراده ادلة كل منهم وترجيحه لأحد الآراء وكثيرا ما يستطرد اثناء ذكر هذه الاحكام فيخرج إلى ما لا صلة له بالتفسير .

6-ذكر ما يتعلق بألفاظ الآية من اشتقاق وتصريف واعلال واعراب مع ايراد اقوال ائمة اللغة فيها –احياناً – واستشهاد بأبيات من الشعر وكلام العرب ؛ ونسبة الأقوال إلى قائليها وذكر ان ذلك من بركة العالم مع عدم ذكر القصص والحكايات التي لا تفيد التفسير .

مصادر الإمام القرطبي في تفسيره :

يُعد الجامع لأحكام القران سفرٌ ضخمٌلتفسير آيات كتاب الله الحكيم ، إذ جمعه مؤلفه في خمسة عشر مجلداً ، تناول فيه موضوعاتٍ علمية متعددة ، مثل : الناسخ و المنسوخ ، ومناسبات النزول ، واستنباط الاحكام الشرعية ، والمسائل الفقهية واللغوية وغيرها (مفتاح ، 1998م).

وقد طبع هذا التفسير لأول مرة في عشرين جزءاً سنة1351 هـ / 1933م ، وتكلفت بطباعته دار الكتب المصرية ، لحاجة الناس إلى هذا الكتاب ليستضيئوا بنوره ويُسحروا حياتهم على نهجه وهواه ثم طبع طبعات عدة سنة 1372هـ/ 1952 م ، وصورته دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1387 / 1967م .

ولابد للباحث هنا من الإشارة إلى وجود عدة نسخ خطية من تفسير القرطبي بعضها كامل والأخر ناقص في دور الكتب الشهيرة كمكتبة اسطنبول بتركيا ، وفي مصر ، وسوريا وتونس و المغرب و المانيا ولندن و اسبانيا والهند وهولندا (بروكلمان ، 1959م).

إن نشأة التفسير القرآني فقد مرت بمراحل وتطورات ، وعلق به من روايات لا تقوت على الوقوف لضعف سندها ومتنها ، إذ اختلفوا الناس في تفسير القرآن الكريم بمعنى هل يجوز لكل ذي علمٍ الخوض فيه ، أما رأي الإمام القرطبي في هذه المسألة ، فكان ممن يجيزون تفسير القرآن ، أي : إذ كانت مناقشته تدل على سعة اطلاعه وعمقه في البحث والتفكير ، فنقل عن بعض العلماء قولهم : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ سورة النساء : 59 ، وهذا فاسدٌ لان النهي عن تفسير القران لا يخلو ؛ إما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل و المسموع ، وترك الاستنباط ، أو المراد به أمرا آخر ، وباطل أن يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران إلا بما سمعه) (الأصفهاني ، 329 هـ) .

لذا اتفق اغلب علماؤنا الأوائل ومنهم القرطبي على ألا يلج هذا الباب – تفسير معاني كلام الله عز وجل – كل من هبَّ ودبّ ، إلا من تتوافر فيه خمسة عشر علماً وهي : (اللغة ، الاشتقاق ، التصريف ، النحو ، المعاني ، البيان ، البديع ، القراءات ، اسباب النزول ، الاثار والاخبار ، السُنن ، اصول الفقه ، الفقه والاخلاق ، النظر و الكلام و الموهبة) ؛ وكل هذه الأدوات المعارف التي يحتاجها المفسر قد تمثلت في القرطبي بصورة واضحة ، والتي تدل على مكانته وطول باعه في علم التفسير القرآني ، وتبلغك الدهشة وانت تدرس تفسير القرطبي بأجزائه العشرين لما تفيض به من مصادر جمه اعتمدها القرطبي واستفاد منها فائدة عظيمة اذ تقل عنها كثيراً في شتى موضوعات الثقافة الاسلامية وفروع اللغة العربية وغيرها ؛ وهي ان دلت على شيء فإنما تدل على يقظة القرطبي الفكرية ونشاطه العلمي الرائع الذي تتمتع به الان ومجهوده العظيم الذي بذله سخياً ابتغاء مرضاه الله تعالى.

مكانة تفسير القرطبي عند المفسرين:

لقد أضاف القرطبي بتأليفه لكتاب التفسير لبنة صلبة في بناء المدرسة الاسلامية التي انجبت كبار العلماء وجهابذة المنكرين ، واساطين العلم والمعرفة الذين اسهموا بدور عظيم في تقدم الانسانية وازدهارها .

هذا وينبغي ان نذكر انه قد أضاف إلى التفسير القرآني أشياء تميزه عن غيره من المفسرين منها : انه قد فصل تفصيلاً مسهباً في تفسير آيات الاحكام ، فعلى الرغم من ان كتابه الجامع اعده لتفسير القرآن الكريم ، الا ان ما أورده فيه من أحكام الفقه الاسلامي يكاد يدل على ان كتابه هذا كتاب فقه ، يغني الباحث عن مراجعة امهات كتب الفقه ومذاهبه المتعددة فما من اية من آيات الله البينات التي لها علاقة بالأحكام الا واسهب فيها القول والبيان متحدثاً عنها في المذاهب الفقهية المختلفة ومناقشاً اصحابها ومبينا وجهات نظرهم مرجحاً لبعضها وناقداً لبعضها الآخر ، وهو في هذا كثير الاستشهاد بأقوال مذهبه المالكي ؛ ولا يكاد يخلو جزء من اجزاء تفسيره من ذكر مسائل فقهية واحكام شرعية في الصلاة والزكاة وغيرها من موضوعات الفقه الإسلامي التي تناولها في

تفسيره ، والتي بقيت – إلى ان وصلت إلينا – لتدل على مكانته الفقهية ، ومقدرته الفائقة في عرض الاحكام الشرعية ، واستنباطها من أدلتها التفصيلية (القرطبي) ؛وكذلك فإنه كان جريئاً في هدم ما يراه مخالفاً لعقيدة اهل السنة فنراه يرد بشيء من العنف على بعض الفرق الكلامية والفلسفية . الامر الذي يعطيه صفه العالم الواعي على عقائدها والمدرك لما تضمنه من اتجاهات وافكار .

ومن الأمور التي أضافها القرطبي إلى التفسير ربطه للواقع الذي كان يعيشه بالآيات التي يتناولها بالتفسير والبيان فهو ينقد ما يراه الاسلام منكراً وخروجاً عن الجادة المستقيمة التي رسمها لأتباعه وهو في ربطه هذا يلتزم بالمنهج الاسلامي الذي يحدد الطريق الذي يجب ان يسلكه المسلمون ويسيروا عليه فهو يعرض الحكم الشرعي ثم يتبعه بتعليق على ما كان يشاهده في مجتمعه واهل زمانه .

وقد نال تفسير الامام القرطبي مكانة مرموقة لدى العلماء والباحثين الذين استفادوا منه فائدة كبيرة في مسائل الفقه والحديث ومعرفة اسباب النزول و الناسخ والمنسوخ والاعراب ... الخ وجعلوه على قائمة كتب التفسير المفضلة لديهم ذلك لأنه (من اجّل التفاسير وأعظمها نفعاً) (الداوودي ،945هـ) .

وقد سارت به الركبان وذاعت شهرته بين علماء الإسلام –قديما وحديثاً –وما ذلك الا ان مؤلفه كان حراً في بحثه نزيهاً في نقده عفا في مناقشته وجدله ، ملماً بالتفسير من جميع نواحيه ، بارعاً في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه (القرطبي)، لهذا كله فقد اعتنى المفسرون والعلماء بتخصيص أبحاث ودراسات عن الإمام القرطبي وتفسيره الشهير ، فنقلوا عنه كثيراً واعتمدوا عليه في مؤلفاتهم وتفاسيرهم ؛ وقد اختصره ابن الملقن الشافعي (ت 804 هـ) (خليفة ،1941م) ، وجاء في هامش احدى النسخ المخطوطة من كتاب الذيل و التكملة لابن عبد الله المراكشي تعليق نصه: (هذا هو ابو عبد الله المفسر مصنف التفسير والاحكام ، أحكام القرآن الذي لا نظير له ، فضله أشياخنا المتأخرون على اكثرها بالأيدي من التفاسير) (المراكشي،1965م).

وكان له أثر كبير على مؤلفي التفاسير القرآنية الذين جاءوا بعده ، فنقلوا عنه وأشاروا إلى أهميته وعظم فائدته ، إيماناً منهم بقيمته ، وشهادة منهم بأن له مكانة علمية رائعة عند الباحثين والمفكرين ، ومن هؤلاء:

– قطب الدين العلامي (ت710هـ) ، صاحب تفسير (فتح المنان في تفسير القرآن) وهو كبير في نحو أربعين مجلداً انتخبه من كتب التفاسير المعتبرة (محمد ، 2000م) .

– عماد الدين ابو الفداء عمر بن كثير المتوفي سنة 774هـ وتفسيره المسمى بـ (تفسير القران العظيم) وهو في اربعة اجزاء ، والشوكاني (ت 1250 هـ) صاحب تفسير فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) ويقع في خمسة اجزاء.

– محمد بن احمد الخطيب (ت سنة 977هـ) صاحب تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المعروف بتفسير الخطيب الشربيني ؛ وهو في أربعة أجزاء طبع بمصر سنة 1285 هـ ، وتحدث مؤلفه عن المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره واستقى منها ثقافته التفسيرية (عبد الرحمن ، 1992م) .

وهذه التفاسير جميعها قد تأثرت بتفسير إمامنا الجليل ونقلت عنه كثيراً في مجالات علوم القران والحديث واللغة والنحو وأسباب النزول ؛ ولكي يتبين لنا ذلك التأثير والاستفادة بكل وضوح وجلاء ننقل نصوصا من بعض تلك التفاسير لندرك أهمية تفسير القرطبي ومدى إقبال علماء الإسلام عليه وتفاعلهم الفكري معه ؛ فمثلاً عند

تفسير قوله تعالى ﴿أَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾(٤٢) (النجم / 42) ، نجد الخطيب الشربيني يفسر لفظ (المنتهى) تفسيراً مماثلاً لما جاء في تفسير القرطبي ، ثم يستدل بعد ذلك بما أورده القرطبي ، تأكيدا للمعنى وتدعيماً له ، فيقول: (المنتهى) ، اي : الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه ، فيجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال (القرطبي) ، قال القرطبي (ومن هذا المعنى قوله (صلى الله عليه وسلم) (يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلف كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعإلى) ، ولقد أحسن من قال (الخطيب ،977هـ) :

ولا تُفَكِّرْ في ذي العُلا عِز وجهة ... فإنك تُردي إن فَعلتُ وتخذلُ

ودُونك مخلوقاتِه فإعتَبِر بها ... وقُل مثل ما قَال الخَليلُ المبجلُ

ويلاحظ ان الإمام الشربيني عند نقله عن القرطبي ينقل عنه – احياناً – كلاما قد نقله عن غيره ، ونسبه إليه فيقول (قال القرطبي : ثلاث آيات منعتني ان أقص على الناس (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ 44البقرة /)44 ، و(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾)هود/ 88يا(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦))الصف / 2 ، وهذا الكلام نقله القرطبي عن النخعي (السراج المنير)؛ فكان ينبغي على الشربيني ان يقول : قال القرطبي نقلاً عن النخعي ، مراعاة للدقة إسناد الأقوال لأصحابها لان ذلك من بركة العلم كما يقول القرطبي نفسه ، وقد ورد عنده (ان أقص) بدلا (ان أقضي).

اما الشوكاني فهو يقل عن صاحبنا كثيراً حيث اعتمد على تفسيره اعتماداً كبيراً ويبدو لنا ذلك واضحاً في الامثلة التي نسوقها من تفسيره : فتح القدير ،فمثلاً في سياق حديثه عن معنى (الفاتحة) واسمائها وعدد آياتها.(الجامع لأحكام القران)

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣))البقرة/ 83 ، فبعد ان ذكر الإمام الشوكاني قول قطرب والمبرد من ان جملة قوله تعإلى(لا تعبدون) جملة حالية ، اذ التقدير أخذنا ميثاقهم موحدين أو غير معاندين ، ثم نقل عن الفراء والزجاج وجماعة ان معناه أخذنا ميثاقكم بان لا تعبدوا الا الله وبان تحسنوا بالوالدين وبان لا تسفكوا الدماء ثم حذف ان فإرتفع الفعل لزوالها ثم ذكر ان المبرد خطأ هذا الفهم لان كل ما اضمر في العربية فهو يعمل عمله مظهرٍ . بعد ذلك نقل نقد القرطبي لما أورده المبرد فقال : قال القرطبي ليس بخطأ بل هما وجهان صحيحان) وعليهما أنشد:

ألا أيهذا الزاجْري إحضر الوغا ... وأن أشهَد اللذات هل أنت مُخلدي

بالنصب لقوله احضر وبالرفع (الشوكاني ، 1250هـ) .

هذه بعض التفاسير التي عنى اصحابها بالنقل عن الامام القرطبي وما عرضه من النصوص و النقول تلقي أضواء ساطعة عن أهمية الجامع لأحكام القران ، وتقيم دليلاً على رسوخ قدم مؤلفه ونبوغه في مجال التفسير القرآني .

اما الباحثون المعاصرون فقد جذبتهم دقة القرطبي في تفسيره وعنايته بذكر قضايا متعددة من قضايا الفكر والعلم فاستفاد منه المحدث والفقيه والنحوي واللغوي والاديب ، ووضعوه في مقدمة امهات المراجع والمصادر الاسلامية . لهذا كله فان بعض هؤلاء الباحثين قد خصص دراسات وابحاثاً عن القرطبي تذكر منهم :

1-الشيخ محمد بهجت البيطار: كتب بحثاً عن الجامع لأحكام القران ، بعد ان هيأ الله له من قام بتحقيقه وطبعه لتعم فائدته المسلمين جميعاً . قال في مقدمته : (كنا نسمع بهذا التفسير الجليل ، قبل ان نراه ، فلما طبع اقبلنا عليه نتصفح اجزاءه ، لنقف على خصائصه ومزاياه) ، ثم اخذ بعدد تلك المزايا والخصائص ، التي لفتت انتباهه من الطبع الانيق والورق الجيد ، وطريقة المؤلف في التفسير المتمثلة في انه يورد الآية ويفسرها بمسائل يجمعها في ابواب .

2-الاستاذ احمد بدوي: نشر مقالة قيمة عن القرطبي وتفسيره الجليل ، عنوانها بقوله(من المفسرين في عصر الحروب الصليبية : القرطبي) وبدأ بترجمة موجزة لحياته ، ووصفه بانه عالم مجتهد يعمل فكره في الاستدلال و الاستنباط ، لا لمجرد الهوى ، ولكن اعتماداً على قوانين العلوم ، ووقوفاً عند حدودها ، واخذ عن السلف ما يرى ضرورة الاخذ به من تفسير المجمل وحل المشكل ، وختم الاستاذ بدوي مقالته هذه بقوله: (وينقل القرطبي كثيراً عن ابن عطية الذي لاحظ تفاسير من سبقه ممن يرون ضرورة معرفة اراء السلف ، واقتدى به في ذلك القرطبي) (الرسالة) .

3-الدكتور محمد حسين الذهبي: نشر دراسة مفيدة عن تفسير الجامع وصاحبه فبدأ بترجمة لحياة المؤلف والتعريف بتفسيره وطريقته فيه ، وختم دراسته بقوله (وعلى الجملة : فان القرطبي في تفسيره هذا حر في بحثه ، نزيه في نقده عف في مناقشته وجدله ، ملم بالتفسير من جميع نواحيه بارع في كل فن استطرد اليه وتكلم فيه) . (التفسير والمفسرون)

4-الاستاذ احمد امين: كتب في كتابه (ظهر الاسلام) ان علماء الاسلام بالأندلس اهتموا بدراسة تفسير القران الكريم ، وبغيره من الدراسات الاسلامية واشتهر عندهم تفسير القرطبي الذي اتبع فيه ذكر الآية ، ثم ذكر ما فيها من اللغة ووجوه الاعراب والمعنى العام وما يستنبط منها من احكام .. الخ وقد جمع فيه بين منهجين منهج الرواية كالطبري ، ومنهج الدراية كالزمخشري ، وشاع الانتفاء به في العالم الإسلامي .

5- الدكتور مفتاح السنوسي بلعم : استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة قاريونس – بنغازي الف كتاب عنوانه: (القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير) ، طبع ضمن منشورات جامعة قاريونس – بنغازي / الطبعة الأولى سنة 1998 م .

6- الدكتور محمود زلط القصبي: الاستاذ المساعد في جامعة الازهر : عنوان كتابه (القرطبي ومنهجه في التفسير) ، وطبع بالمركز العربي للثقافة والعلوم ببيروت.

– القيمة العلمية لتفسير الامام القرطبي وتأثر المفسرين بِه

لقد اثنى المؤرخون والعلماء على تفسير القرطبي وابرزوا قيمته العلمية ، فقال (الذهبي) في تاريخ الاسلام: (وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ، وهو كامل في معناه) وقال ابن فرحون وهو يتحدث عن مؤلفاته ، جمع القرطبي في تفسير القران كتاباً كبيراً ؛ وهو من اجل التفاسير واعظمها نفعا ، وكذلك قال الداودي في

طبقاته وبين ابن العماد في شذراته: ان تفسير القرطبي يحكى مذاهب السلف كلها وان فوائده كثيرة ، وأوضح (ابن خلدون) في مقدمته ان تفسير القرطبي له شهرة عريضة بالمشرق (شمس الدين ،748هـ).

واذا كان تفسير القرطبي له تلك المكانة والشهرة فلا عجب ان يتأثر المفسرون الذين جاءوا بعده بكتابه فينتفعوا به ويُفيدوا منه ومن اشهرهم :

ابو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير المتوفى سنة 774هـ فلقد تأثر ابن كثير في تفسيره بالقرطبي ونقل عنهُ اقواله غالباً ، بالمعنى لا بالنص ، ومن الامثلة التي توضح تأثر ابن كثير بالقرطبي ما ذكره في فضل سورة الفاتحة (أبو الفداء ،1999م)، ولقد تصرف ابن كثير في هذا النص ونقله عن القرطبي مختصراً .

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد التأمل في منهج القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ومصادره فيه ، اخلصُ إلى الآتي:

1) للمنهج أهمية بالغة لما يحتويه من الأصول والقواعد والأساليب والآداب وغيرها ؛ وأن عدداً وافراً من مصادر القرطبي في تفسيره تنوعت ما بين كتب تفسير وعلوم القرآن ، والقراءات وكتب علوم الحديث وغيرها كثير.

2) تعددت موضوعات التفسير ، فلم يهمل القرطبي ما يتعلق بألفاظ الآية من اشتقاق وتصريف واعلال واعراب مع ايراد اقوال أئمة اللغة فيها – احياناً – واستشهاد بأبيات من الشعر وكلام العرب .

3) لقد أضاف القرطبي بتأليفه لكتاب التفسير لبنة صلبة في بناء المدرسة الإسلامية التي أنجبت كبار العلماء وجهابذة المنكرين ، وأساطين العلم والمعرفة الذين أسهموا بدور عظيم في تقدم الانسانية وازدهارها ؛هذا وينبغي ان أذكر أنه قد أضاف إلى التفسير القرآني أشياء تميزه عن غيره من المفسرين؛ وان القرطبي في تفسيره لا يخرج إلى حد الإستطراد الممل ، بل ينير الطريق لمن يريد أن يستكشف ألفاظ القرآن ويعرف معانيها .

التوصيات :

1) دعوة الباحثين وطلاب العلم للإستفادة من منهج القرطبي في تفسيره بصورة عامة وشواهده الشعرية بصورة خاصة ، وافراد دراسات وبحوث مستقلة لما تمتلكه هذه الشواهد من ظواهر لغوية ونحوية ، والقراءات القرآنية ، والتراكيب البلاغية ، لتوضح المعنى اللغوي ، وتسند التركيب النحوي ، وتقوي التعبير البلاغي وتصحح القراءة القرآنية .

2) لا شك ان تفسير القرطبي يصعب على الباحث أن يلم بمسائله اللغوية ، لأن شعابها متعددة ، ومسالكها مختلفة ، لذا أوصي الدارسين إلى تقسيم هذه الشواهد الشعرية على حسب علومها البلاغية فشواهد علم المعاني ، وشواهد علم البيان وشواهد علم البديع كي يسهل على الباحث على الوصول إلى هدفه من اقرب طريق، وايسر سبيل حتى تتضح أمامه الرؤيا ليهتدي إلى ما يريد .

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. ابراهيم مصطفى وآخرين ، المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة 2010م .
3. ابن حنبل: احمد (241هـ) ، المسند ، تحقيق: الشيخ شعيب الارناؤوط عن مؤسسة الرسالة ، د.ت
4. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1992م.

5. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، سنة 1948 م ، مطبعة السعادة ، مصر.
6. ابن فرحون: المالكي (ت799هـ) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : تحقيق وتعليق : د. محمد الاحمدي ابي النور , دار التراث للطبع والنشر – القاهرة ، (د.ت) .
7. ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ) ، تفسير القرآن العظيم : تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1420هـ=1999م .
8. ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن جمال الدين ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
9. الاصفهاني : الراغب (ت 502 هـ) : المفردات في غريب الفاظ القرآن ، ط1 ، 329 هـ ، المطبعة الجمالية بمصر.
10. الالباني ، محمد ناصر الدين (ت1420هـ) ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، (د.ت) .
11. باجنيد : ناهد بنت احمد بن عبد الباسط ، ترجيحات الامام القرطبي في التفسير : رسالة ماجستير بإشراف : الدكتور شعبان محمد اسماعيل في جامعة ام القرى ، 1430هـ/ 2009م .
12. البخاري ، الامام ابي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ) ، صحيح البخاري : ضبط: محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي ، بيروت – لبنان.
13. بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي – ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، ط1 ، 1959م.
14. بلعم : مفتاح السنوسي ، القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير ، منشورات جامعة قار يونس – بنغازي ، دار الكتب الوطنية ، ط1 ، 1998م .
15. الخطيب ، محمد الشربيني(ت977هـ) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا العليم الخبير ، مطبعة بولاق(الاميرية) ، القاهرة ، 1285هـ .
16. خليفة ، حاجي ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مجلدان ، طبعة وكالة المعارف الجديدة ، 1360هـ / 1941م ، تحقيق : محمد شرف الدين ورفعت بلكه .
17. الدأوودي، محمد بن علي(ت945هـ) ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
18. الذهبي : شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت748هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، دار الغرب الاسلامي ، ط1، 2003م .
19. الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، ط7 ، مكتبة وهبة ، 2000م .
20. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت 1250 هـ) ، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء – القاهرة.
21. الفرت ، يوسف عبد الرحمن ، القرطبي المفسر سيرة ومنهج ، دار القلم ، 1982م .
22. القرطبي : أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) ، الجامع لأحكام القران والم بين لما تضمنه من السُّنّة وآي الفرقان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت– لبنان ، 1408هـ = 1988 م .
23. القصبي ، محمود زلط : القرطبي ومنهجه في التفسير ، المركز العربي للثقافة والفنون ، بيروت ، (د.ت) .

24. الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى(ت1094هـ) ، الكلّيات– معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : تحقيق: عدنان درويش ومحمَّد المصري ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419هـ = 1998م .

25. المراكشي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك(703 هـ) ، كتاب الذيل والتكملة لكتابيّ الموصول والصلة : دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ط1، 2012م .

المجلات العلمية :

1. مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد العشرون 562 سنة 1945م تحت عنوان : (مخطوطات ومطبوعات) .